موقف المستشرق الهولندي فنسنك من علاقة الرسول ﷺ مع اليهود في المدينة قبل معركة بدر

إعداد الباحثة

العنود طاحوس فلاح القحطاني

جامعة الدمام – كلية الآداب

من ١٧٢٩ إلى ١٧٥٨

الملخص العربى

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فيظهر جليًّا لكل دارسٍ مُنصف لتاريخ الحضارة الإنسانية مدى اعتماد الحضارة الغربية في بداية نشأتها على إرث وإنجازات الحضارة الإسلامية، بطرقٍ وقنواتٍ عدة، علماً بأن بعض الدراسات الغربية تُقَلِّل مِن هذا الأثر، أو تحصره في مجالات ضيقة! ولقد كان مِن نتائج وآثارِ هذا التواصل بين الجانبين: اهتمامُ الغرب بدراسة الشرق بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة؛ مما أدى إلى ظهور حركة الاستشراق، ثم مِن بعدها حركةُ الاستعمار وبذلك أصبح العالم الإسلامي هدفًا للحركتين.

ولقد اهتمَّ المستشرقون اهتمامًا كبيرًا بدراسة الإسلام والحضارة الإسلامية بصفة عامة، والسيرة النبوية بصفة خاصة.

ويُعَدُّ أ.ج.فنسنك مِن بين أبرز المستشرقين الذين تَصَدَّوْا لدراسة الإسلام؛ حيث يُعَدُّ مِن أبرز أركان الاستشراق الهولندي؛ لما له مِن كتابات وبحوثٍ ودراسات، ومُعظَمُها في السيرةِ النبوية، وأصبحتْ كتاباته مرجعًا لمن جاء بعدَه مِن المستشرقين.

ومِن بين الدراسات التي قام بها: "محمدﷺ ويهود المدينة"؛ حيث أثار الكاتبُ العديدَ مِن الشبهات حول بداية الدعوة الإسلامية وأثر اليهود على العقيدة الإسلامية، وأسباب إجلاء اليهود من المدينة، ونظرًا لمجافاة الكاتبِ المنهجَ العلمي في بعضِ ما أورده مِن آراء في هذا الكتاب وخاصة في علاقة الرسولﷺ واليهود في المدينة قبل معركة بدر.

وقد تناولت فى هذه الدراسة أربعة مباحث وهي: المبحث الأول: المدارس الإستشراقية الهولندية، ثم المبحث الثانى: نبذة عن المستشرق الهولندى أرنت جان فنسنك (١٨٨٢ – ١٩٣٩م)، وبعده المبحث الثالث: رؤية فنسنك حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم. وأخيراً المبحث الرابع: نظرة المستشرق الهولندى فنسنك من علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

Arabic Summary

Praise be to Allah, peace be upon his prophet Mohamed, his family, and companions.

Every just researcher of the human - Civilization history sees clearly the dependence of the western – civilization on the heritage and achievements of the Islamic- civilization in many ways and canals. Some western – studies reduce from this effect, or make it only in narrow fields. From the results of the communication between the two sides: the interest of the west by studying the East generally; and the Islamic world especially. That is the colonization.

So that the Islamic – world becomes a target for the two motions.

The orientalists have interested most by studying the Islamic – civilization and Islam in general, and the prophet life especially.

A.G. Fensink in is one of the most orientalists interested in studying Islam. And the main stone in the Dutch orientalism. He has many writings, researches and studies, mostly in the prophet's life "Sira", his works become a resource for who followed him from orientalists.

From his studies: "Mohammed; peace be upon him, and the Jews in Madina". The writer erects many doubts about the beginning of Islam and the influence of Jews on the Islamic and the influence of Jews on the Islamic creed, and the reasons of rejecting the Jews from Madina.

The writer leaves the scientific methodology in some opinions in this book, especially what is concerned to the relationship between the prophet; peace be upon him, and the Jews in Madina before Badr battle.

I have dealt with four points: First, Dutch orientalist schools. Second, summary about the Dutch orientalist Arnet Gan Fensink (1882 – 1939). Third, Fensink overview about the character of the prophet Mohammed; peace be upon him. Fourth, Fensink overview about the relationship between the prophet; peace be upon him, and the Jews in Madina.

May Allah accept my little work

Thanks to my Blessing God

مقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فيظهر جليًّا لكل دارسٍ مُنصف لتاريخ الحضارة الإنسانية مدى اعتماد الحضارة الغربية في بداية نشأتها على إرث وإنجازات الحضارة الإسلامية، بطرقٍ وقنواتٍ عــدة، علماً بأن بعض الدراسات الغربية تُقَلِّل مِن هذا الأثر، أو تحصره في مجــالات ضــيقة! ولقد كان مِن نتائج وآثارِ هذا التواصل بين الجانبين: اهتمامُ الغرب بدراسة الشــرق بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة؛ مما أدى إلى ظهور حركة الاستشــراق، ثم مِن بعدها حركةُ الاستعمار وبذلك أصبح العالم الإسلامي هدفًا للحركتين.

فطيلة قرون وحتى فترة متأخرة من القرن العشرين لم تتعرف الشعوب الغربيــة على الشرق الإسلامى من خلال مصادره الخاصة وتراثه المباشر، إنا عرفوه من خلال رجال متخصصين، وعلى رأسهم المستشرقون الذين جالوا بلدان الشرق الإســلامى، وسجلوا مشاهدتهم من الواقع.

ولقد اهتمَّ المستشرقون اهتمامًا كبيرًا بدراسة الإسلام والحضــارة الإســلامية بصفة عامة، والسيرة النبوية بصفة خاصة.

ويُعَدُّ أ.ج.فنسنك مِن بين أبرز المستشرقين الذين تَصَدَّوْا لدراســة الإســلام؛ حيث يُعَدُّ مِن أبرز أركان الاستشراق الهولندي؛ لما له مِن كتابات وبحوثٍ ودراسات، ومُعظَمُها في السيرةِ النبوية، وأصبحتْ كتاباته مرجعًا لمن جاء بعدَه مِن المستشرقين.

ومِن بين الدراسات التي قام بها: "محمدﷺ ويهود المدينة"؛ حيث أثار الكاتــبُ العديدَ مِن الشبهات حول بداية الدعوة الإسلامية وأثر اليهود على العقيدة الإسلامية، وأسباب إجلاء اليهود من المدينة، ونظرًا لمجافاة الكاتبِ المنهجَ العلمي في بعــضِ مــا أورده مِن آراء في هذا الكتاب وخاصة في علاقة الرسولﷺ واليهود في المدينة قبــل معركة بدر.

أهمية البحث:

تأتى أهمية البحث من عدة نواحى:

١- أن الكثير من المستشرقين يفهمون الإسلام فهماً خاطئاً ويسعون إلى تشـــويه صورته بشكل خطير وأضر بالإسلام والمسلمين.

٢- ضعف الثقافة الإسلامية لدى الكثير من النشئ والتى تمكنهم مـــن مواجهـــة الهجمة الشرسة من الغرب ضد الإسلام والمسلمين.

٣- من خلال دراسة بعض الأعمال للمستشرق الهولندى جان فنســـنك يمكـــن التعرف على موقفه من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجـــاه يهـــود المدينة وتفسيره الخاطئ لتلك السياسة والرد عليها.

محتويات الدراسة:

تحتوى الدراسة إلى أربعة مباحث وهى:

- المبحث الأول: المدارس الإستشراقية الهولندية.
- المبحث الثانى: نبذة عن المستشرق الهولندى أرنت جان فنسنك (١٨٨٢ – ١٩٣٩م).
- المبحث الثالث: رؤية فنسنك حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم.
- المبحث الرابع: نظرة المستشرق الهولندى فنسنك من علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة.

المبحث الأول المدارس الإستشراقية الهولندية

أولاً: نبذة عن المدرسة الإستشراقية الهولندية:

تُعد المدرسة الهولندية من المدارس الإستشراقية الهامة. إلا إننا بالرغم من ذلك نجد أن الدراسات عنها قليلة إذا ما قورنت بالمدارس الإستشراقية الأوربية الأخرى. فهولندا لم تكن بمعزل عن تيارات القرون الوسطى ومفاهيمها عن الإسلام, ولقد اتسمَ الاستشراق في هولندا في بدايتهِ بروح فيها شيءٌ مِن العلم، بيد أنها مشوبة بالكثير مِن مفاهيم القرون الوسطى، والأمر في كل ذلك لا يَخْرُج عن أن هولندا كانتْ تَدورُ في الفلك البابوي الكاثوليكي؛ حيث إنها كانتْ جزءًا صغيرًا من الإمبراطوريات الأوربية التي تعاقبتْ على حُكمِها[١].

وقد أسست هولندا معاهدَ متخصصة؛ من أهمها المعهد الملكي للغات، والمعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام، وزخرت هولندا بالمكتبات الغنية بالتراث الإسلامي، مثل: مكتبة جامعة ليدن **Leiden** ، التي تضم نفائس المخطوطات، ومكتبة المجمع الملكي في أمستردام، ومن أهم مستشرقي هذه المدرسة إربنيوس، الذي يعدُّ مؤسِّس النهضة الاستشراقية بعد تأسيسه المطبعة العربية الشهيرة(بريل)، ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هرجرونيه (١٨٥٧م – ١٩٣٦م)، الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الغفار، وذهب إلى مكة المكرمة، ومكث ستة أشهر حتى طردتْه السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلَّة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضًا: دي خويه (١٨٣٦م – ١٩٠٩م)، وكذلك المستشرق فنسنك الذى تدور حوله دراستنا هذه، والمستشرق دوزي، الذي يعد أشهر مستشرقي هذه المدرسة، مؤلِّف كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا، وناشر كتاب" :البيان المغرب في أخبار

---

(١) السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠٣- ١٠٤.

المغرب"، وقد خلَّف العشرات من الكتب المؤلَّفة والمحققة حول العربيـــة والإســـلام، ونجد أيضًا فنسنك **vensinek** واضع الأساس الأول للمعجم المفهـــرس لألفـــاظ العربية، وصاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتـــاب في العقيـــدة الإسلامية، وذكر الدكتور السامرائي أن الاستشراق الهولندي شَـــهِد في الســـنوات الماضية ظهورَ تيارٍ من المستشرقين الشباب الذين يَمِيلون إلى النظـــرة الموضـــوعية إلى الإسلام وقضاياه، وهذا ما أثار حنق وغضب المستشرقين الأكبر سنًّا، ولهولندا مركـــز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر[1].

كما يعود اهتمام هولندا بالشرق إلى اتصالها بالشرقِ الأقصى وعَقَدَتْ مع الهند عدةَ اتفاقيات تجارية بعد أن أسس شركةُ الهند الشرقية سنة ١٦٠٢م، ولكن المنافسة غير المتكافئة بينها وبين فرنسا اضطرَّتْها إلى الانسحاب من الهند تجاريًّا بعد أنْ ألغـــت الشركة المسماة باسمها[2].

ولم تعرفْ هولندا بشخصيتها الحالية إلا حين استطاعتْ أن تَتَحَرَّر مِن حكـــم الإمبراطورية الإسبانية تمامًا في سنة ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م بعد حروبٍ استمرتْ ثمانين عامًا، فتأسستْ أول جامعة فيها سنة ١٥٧٤م بمدينة ليدن، بعد تحريرها من الحكـــم الإسباني، وفي هذه الجامعة بالذات بدأ الاستشراقُ الهولندي وتَبِعَتْها بقيةُ الجامعات التي أُنشأت فيما بعدُ[3].

وقد أعتنى المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، كما اعتنوا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الإستشراق الهولندى وجود مؤسسة برل، التي تولت طباعة

---

(١) السابعى، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ط٣، المكتب الإسلامى، بـــيروت، ١٤٠٥هـــ – ١٩٨٥م، ص١٢٢.

(٢) الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٤١.

(٣) السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ١٠٤.

الموسوعة الإسلامية ونشرها فى طبيعتها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمون.

واتصل الهولنديون بالشرق واهتموا بتراثه، فقد عرفوا العربية قبل الألمان لها، أما أسباب ذلك فعديدة، منها الخلاف الدينى الذى وقع بخروج لوثر عن الكاثوليكية، ومنها تأسيس جمهورية الولايات الهولندية المتحدة، ومنها اتصال الهولنديين بعرب مراكش والجزائر وطرابلس الغرب ومسلمى الهند الشرقية اتصالاً سياسياً وتجارياً، ومنها إقبال العالم الغربى على العلوم الشرقية[١].

ومما ساعَد على ازدهار الدراسات الإستشراقية في هولندا كثرةُ المطابع؛ مثل: مطبعة ليدن ذات الشُّهرة الواسعة في نشر المؤلفات الإستشراقية إلى يومنا هذا, والتي أنشأها إربانوس، ثم انتقلتْ مِن يد إلى يد حتى أشرف عليها المستشرقُ بريل[٢].

ثانياً: أهمية التعرف على فكر المستشرقين الهولنديين:

إن اختيارنا لنماذج من كبار رجال الاستشراق الهولندى سيكون متفقاً مع هدفنا فى تقويم وتشخيص منهج دراسة الغربيين للشرق الإسلامى، كما أن الأساس الذى اعتمدنا عليه فى هذا الاختيار هو الدور الخطير والهام فكرياً لهؤلاء الرجال، والذى سيكشف لنا عن الأثر السلبى الذى تركوه على العقلية الغربية فى فهم الإسلام ومجتمعاته من جهة، وعن التخريب الاجتماعى والثقافى الذى أحدثوه فى المجتمعات الإسلامية عن طريق صياغة أفكار وبرامج تغيير لتوجهات هذه المجتمعات عن مسارها الإسلامى وتحقيق هويتها الدينية من جهة أخرى.

وبذلك استطاع الاستعمار الغربى أن يستغنى عن الأسلوب العسكرى المباشر للسيطرة على العالم الإسلامى، وأكتفى بالاستعمار الفكرى المتمثل بمجموعة من

---

(١) المفتى، محمد مختار، السيرة النبوية فى كتابات المستشرق الهولندى أرنت جان فنسنك "١٩٣٩ – ١٨٨٢م، مجلة هدى الإسلام، الأردن، مج٥٦، ع٨، ٢٠١٢م ص ٨٥.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٢٩٩.

المبادئ والأفكار الحديثة التي رفعت راية القومية والوطنية تــارة، وثــوب التمــدن والتحديث تارة أخرى.

المبحث الثانى

نبذة عن المستشرق الهولندى أرنت جان فنسنك (١٨٨٢ – ١٩٣٩م)

التعريف بالمستشرق أرنت جاك فنسنك (١٨٨٢م–١٩٣٩م):

حياته:

هو ابنٌ لرجل دين إصلاحي يُدعى يوهان فنسنك، وُلِدَ سنة ١٨٨٢م، واقتفى طريق والده في دراسة اللاهوت في اترخت عام ١٩٠١م، ولكنه بعد سنةٍ واحدةٍ قرَّر دراسة اللغات السامية، وفي شهر يوليو عام ١٩٠٤م واصل دراساته في ليدن عنـــدما كان المهتم بالشؤون العربية دي خويه يُؤسس قسمًا للدراسات العربية، أكمل تحضيرَ درجة الماجستير، بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية كان على معرفةٍ جيدة باللغات العبرية والآرامية والسريانية(١).

وفي عام ١٩٠٨م نال درجة الدكتوراه بعنـــوان: (**ohammed en de Jodente Medina** – محمد واليهود في المدينة)، بدأ ممارَسة مهنته الأكاديمية في وظيفة مُحاضر في اللهجات الآرامية والسريانية بجامعة يوتريشن(٢).

وقد قام برحلات إلى مصر وسوريا وغيرها من بلاد العـــرب وقـــد أعـــتنى بالحديث والسنة وسعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف من الكتب التسعة، وانضم إليه لفيف من المستشرقين العالميين، كما أعانته أكاديمية العلوم فى امستردام، ومؤسسات هولندية أخرى وعدد من أكاديميات دول أوربيـــة، وتـــولى الإشراف على تحرير معظم موضوعات دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٥٢م بلغاتهـــا الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم، وكتب مقالات كثيرة فى مجالات مختلفة،

---

(١) **Ryad, Umar,"The Dismissal of A.J .Wensinck from the Royal Academy of the ArabicLanguage in Cairo",inW. B. Drees&P. S. van Koningsveld (eds.),The Study of Religion and the Training of Muslim Clergy in Europe: Academic and Religious Freedom in the 21st Century, Amsterdam 2008, P. 94.**

(٢) **Ibid, P.95.**

وله كتب بالإنجليزية والفرنسية عن الإسلام والمسلمين، رشح فنسنك لعضوية مجمـــع اللغة العربية فى مصر ولشدة تعصبه ضد الإسلام تعرض لهجوم من قبل الدكتور حسين الهوارى مؤلف كتاب المستشرقون والإسلام "الذى صدر سنة **١٩٣٦م** مما أحـــدث أزمة معه كانت نتيجتها أن رفضت عضوي فنسنك فى المجمع، وكان السبب فى هـــذا الهجوم قيامه بنشر آرائه فى القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، مدعياً أن الرسول ألف القرآن تلخيصاً للكتب الدينية والفلسفية التى سبقته.

وهذا عرف بأنه عدو لدون للإسلام والرسول الكريم صلى الله عليه وســـلم، ومتعصب بكتاباته كما فى كتابة "عقيدة الإسلام" الذى صدر سنة **١٩٣٢م**(١).

ومن أعماله:

- كان أول إنتاجه هو رسالته التي حصل بها على الدكتوراه في عـــام **١٩٠٨م** والتي صدرت في كتاب باللغة الهولندية عن مطبعة بريل تحت نفـــس عنـــوان الرسالة (**Mohammed en de Jodente Medina**) وترجمت إلى عدد من اللغات وتعتمد هذه الدراسة على الترجمة الإنجليزيـــة للكتـــاب (**Muhammad and the Jews of Medina**) والذي يقع في **١٥٤** صفحة يحتوي على مقدمة وأربعة فصول الفصل الأول يتحدث عـــن سكان المدينة والفصل الثاني تناول فيه الكاتب العلاقة بين محمد ﷺ واليهـــود في المدينة قبل معركة بدر والفصل الثالث يتحدث عن التأثير اليهودي علـــى العقيدة الإسلامية وأخيراً الفصل الرابع يتحدث عن العلاقة بـــين محمـــد ﷺ واليهود في المدينة بعد معركة بدر وكذلك يحتوي الكتاب على ملحق وقائمة للمصادر والمراجع. وترجع أهمية هذا الكتاب على أنه أقدم مـــا كُتِـــبَ في العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود في المدينة.

---

(١) المفتى، محمد مختار، إسهامات العلماء والمستشرقين فى الفكر الإسلامى، أمواج، الأردن، عمـــان، ٢٠١٢م، ص ٢٢٣.

- محمد واليهود ١٩١١م.
- مفتاح كنوز السنة مرتباً على الحروف الأبجدية (ليدن ١٩٢٧م).
- العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخى – بالإنجليزية.
- فكر الغزالى – بالفرنسية – باريس ١٩٤٠م[١].

الإشراف على موسوعة دائرة المعارف الإسلامية:

لقد كتبت دائرة المعارف الإسلامية – وهى أوسع نتاج موسوعى استشراقى – من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوربية مختلفة، وكان المشرف على معظم موادها هو المستشرق "فنسنك"، المعروف بأنه من أكبر المتعصبين ضد الإسلام، والذى يدعى أن الرسول صلى الله وسلم ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته، وقد نشرت هذه الدائرة باللغة العربية مرتين، الأولى عام ١٩٣٢م، والمرة الثانية فى السبعينات دون أى تغيير فى موادها، وقد عرف عن دائرة المعارف الإسلامية بأنها تضم مجموعة من المحاذير التى يجب التنبه والتصدى لها والرد عليها وكشف أهدافها[٢].

---

[١] المفتى، محمد مختار، مجلة هدى الإسلام، مرجع سابق، ص ٩٠.

[٢] المفتى، محمد مختار، مجلة هدى الإسلام، مرجع سابق، ص ٩١.

المبحث الثالث

رؤية فنسنك حول شخصية النبي ﷺ

اعتبر فنسنك الرسولَﷺ شخصًا عاديًّا، وليس برسولٍ من عند الله، فيقول: "إنَّ ورقةَ بن نوفل وغيره مِن المُوحِّدين كانوا يَعمَلون بما جاء به محمداً ﷺ، ولكن لماذا لم يَدْعُ أي واحد منهم إلى الإسلام قبل أن يفعلَ محمد؟

ويضيف الكاتب إن الجوابُ ببساطة هو: أنهم لم يَكونوا يَملكون الشخصيةَ القويةَ؛ لأنَّ الشخصيةَ القويَّةَ فقط هي التي تصنع التاريخ[١]، "وكأن ملكات الرسول ﷺ الشخصية هي العاملُ المؤثِّر، وليس كونه مكلفًا مِن قِبَل الله بالدعوة.

فهو يرى أن الظروفَ في الجزيرة العربية هي التي ساعدت الرسولَ ﷺ على امتلاك الشخصية القوية، فهو بذلك يُحاول أن يثبت أن الرسولﷺ ليس بنبيٍّ، ولم يأتِ بدين جديدٍ، وهذا هو الأساسُ الذي استند عليه فنسنك في معظم آرائه في هذا الكتاب.

ولكي يقرب الصورة لذهن القارئ الغربي يشبه فنسنك شخصية الرسول ﷺ بنابليون زاعماً أن الرسول ﷺكان حالما وسعى لتحقيق أحلامه فالأمر بالنسبة له هو أن الرسولﷺ سعى كما سعى نابليون لتحقيق أحلام ذاتية ورغبة في بناء مجد شخصي.والسؤال الذي يطرح نفسه هنا إذا كان النبي ﷺ يسعى لبناء مجد شخصي فلماذا رفض كل العروض[٢] التي تقدمت بها قريش ومن بينها جعله ملكاً عليهم.

---

[١] Wensink, A.J., *Muhammad and the Jews of Medina*, translated and edited by Wolfgang Behn,Berlin, 1975, P. 1-2

[١٣] وهذه العروض : اجتمع عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة وأبو سفيان وأبو جهل وأمية بن خلف وغيرهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة وقالوا " يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل قومه مثل ما أدخلت على قومك ، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا،

يواصل الكاتب مزاعمه فيقول: "إن شخصية محمد(ﷺ) قد طَغَتْ عليها في بداية الأمر الحماسة الدينيةُ، والتمسك بالمبادئ، ثم بعد ذلك الإرادة القوية والإصرار، ورغم أنه كان حالمًا إلا أنه عرف كيف يُشَكِّل الواقع وفقًا لأحلامه! وكان محمد(ﷺ)شبيهًا في العصر الحديث بنابليون، كان حلم محمد(ﷺ) يَتمثل في جعل العالم كله يعترف بوحدانية الله وبرسولهﷺ، ولكن كان حلم نابليون أن يعترفَ العالم به وحده"[(١)].

فأيُّ شبهٍ يَجمع الرسول ﷺ بسموِّ أخلاقه بنابليون، فشتان بين الثرى والثريا؟! الذي اعترف وهو في منفاه الأخير في جزيرة سانت هيلانه أن المنشور الذي وزعه على المصريين إبان حملته عليهم بأنه كان قطعة من الدجل، "ولكنه دجل من أعلى طراز"، وقال لأحد خلصائه، وهو في سانت هيلانه: "على الإنسان أن يَصطنعَ الدجَل في هذه الدنيا لأنه السبيل الوحيد إلى النجاح"[(٢)]، ولقد كان المؤرخُ الأميركي كرستوفر هيرولد دقيقًا عندما وصف نابليون بأنه: "كان أشبه بحرباء بشرى[(٣)]؛ يقصد: في تلوُّنه ومَكرِه.

ويبدو واضحاً هنا وقوع الكاتب في نفس الأخطاء المنهجية لمن سبقه من

وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك "، فقال لهم الرسول ﷺ : ما بي ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٩٠.

(١) Wensink, Muhammad and theJews, P. 1 – 2.

(٢) هيرولد، كرستوفر، بونابرت في مصر، ترجمة فؤاد أندروس، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨ه/١٩٩٨م، ص١٦٥.

(٣) هيرولد ،بونابرت في مصر، ص١٦٥، ١٦١.

المستشرقين والتي تَنظُرُ إلى التاريخ الإسلامي عبر الواقع الأوربي، ليقربَ الأمر إلى ذهنِ القارئ الأوربي.

ولم يقفْ فنسنك عند هذا الحدِّ، بل إنه وصف سياسة الرسول ﷺ بالخسيسة؛ فقال: "ومِن وجهة نظرنا فإن الوسائلَ التي اتبعها محمد (ﷺ) لتحقيق هدفه لا تختلف كثيرًا – في الغالب – عن أساليب السياسة الخسيسة، إن لم تكن أسوأَ منها"[١].

يلاحظ هنا أيضاً إتباع الكاتب للنظرة الاستعلائية التي هي واحدة من مظاهر الخلل في المناهج الإستشراقية التي عالجت أحداث التاريخ الإسلامي وذلك بزعمه بسمو المبادئ الأوربية المسيحية ؛ فيقول: "ولكن من الظلم الفادح أن نُطبقَ مبادئنا المسيحية في القرن العشرين حول الأخلاق والإنسانية لنقيسَ عليها المبادئَ العربية في القرن السادس، التي نشأتْ في مجتمعٍ يعيش حياة البداوة"[٢]. فالمعروف أن هذه الفترة كانت فترة صراع وحروب في أوربا أزهقت فيه العديد من الأنفس وتوجت بعد صدور الكتاب بقليل بالحرب العالمية الأولى.

وبالرغم من أن الكاتب أصدر دراسته في القرن العشرين إلا أن أسلوبه تأثر بأسلوب كتاب عصر النهضة الأوربية والتنوير الأوربي في القرن الثامن عشر ميلادي فهو اعتبر الرسولﷺرجل سياسة تبرر الغاية عنده الوسيلة كما صوره فولتير في رسالته (ﷺ) سنة ١٧٤٢م[٣]، وكذلك بالرغم من محاولته من إيحاء القارئ أنه لا يُحاول إسقاط أحداث القرن العشرين على أحداث القرن السادس، إلا أنه يتناقض ذلك فيما ذهب إليه عندما شبَّه الرسولَﷺ بنابليون بونابرت أي بأحداث القرنين الثامن عشر

(١) Wensink, Muhammad and the Jews, P. 2.

(٢) Ibid, P. 3.

(٣) فوزي، فاروق عمر، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٥٣.

والتاسع عشر.

وقد كفانا مُفكرون وفلاسفة غير مسلمين منصفين للرد على ما زعمه الكاتب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول توماس كارليل: "وعلى ذلك فلسنا نعِّد محمداً (ﷺ)هذا قط رجلاً كاذباً متمنعاً، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائق، وما الرسالة التي أداها إلا حقّ صراَح، وما كلمته إلا صوت صادق ، صادر من العالم المجهول ، كلا ما محمد (ﷺ) بالكاذب ولا الملفق[١]".

ويقول غوستاف لوبون: "وإذا ما قيستْ قيمةُ الرجال بجليل أعمالهم؛ كان محمدٌ(ﷺ)مِن أعظم من عرَفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب يَنصفون محمدًا(ﷺ)، مع أنَّ التعصُّب الدينيَّ أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله"[٢].

هذا غيضٌ من فيض مما سَجَّله بعض المنصفين من غير المسلمين عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويبدو فيها بجلاءٍ الإنصافُ والرأي السديد الذي كان ثمرة البحث العلمي الموضوعي المتأني.

---

(١) كارليل، توماس، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ص ٨٥.

(٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتير، دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ١١٦.

المبحث الرابع
نظرة المستشرق الهولندى فنسنك من علاقة الرسول ﷺ مع يهود المدينة

أولاً: رؤية فنسنك من موقف الرسول ﷺ من ثراء اليهود في المدينة

وفي مَعرضِ حديث فنسنك عن ثراء اليهود في المدينة، زَعم أن هــذا الثــراء اليهودي قد أثار حفيظةَ الرسول ﷺ فيقول فنسنك: "وليس مِن المُستَغْرَب أن تُــدخلَ هذه الثروة الحسدَ في نفس محمد (ﷺ)، خاصة أنه وصحابته كانوا يَعتمــدون علــى أتْباعِهم من أهل المدينة، وأن المهاجرين كانوا يَعيشون في حالة فقر شديد(١)".

فالكاتب بزعمه ذلك هدفه هيئة ذهن القارئ لقبول ما سيشير إليه في الفصــل الثالث من كتابه من أن الدافع المادي كان أحد الأسباب الــتي دفعَّــت الرســولﷺ لإجلاء القبائل اليهودية من المدينة.

كما أن الكاتب أغفل العديد من الروايات التي توضح أن المهاجرين لم يَعيشوا عالةً على الأنصار؛ إذ تعفَّفوا واجتهدوا في طلب الرزق، وتاجروا حتى غدا بعضُهم مِن أثرى أثرياء المدينة بعد ذلك؛ مثل: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفانرضي الله عنهما.

فالكثيرُ مِن الروايات أشارتْ إلى تعفُّف المهاجرين، وأنهم لم يكونوا عالةً علــى الأنصار، فعلى سبيل المثال لا الحصر: ما أورده البخاري عن أنسٍ: أن عبد الرحمن بن عوف قدِم المدينة فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري،فعرض عليه الأخير في مقاسمة شطر ماله وحريمه، إلا أنه رفض ذلك، وطلب منه أن يدلَّه على سوق المدينة،فدَلُّوه على سوق بني قَيْنُقاع، فذهب فاشترى وباع، فربح فجاء بشيء من أقط وسمن، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران(٢)، ولعل في هذه القصة

---

(١) **Wensink, Muhammad and the Jews, P.26.**

(٢٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمود محمــد محمــود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـــ/٢٠٠٩م، (٣) بــاب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حديث رقم (٣٧٨٠)، ص ٦٨٦.

الكفاية ُللرد على مزاعم فنسنك.

ثانياً: موقف فنسنك من الأحاديث التي تصور قوة اليهود :

يتبع الكاتب منهج التشكيك في الروايات زاعماً: "وكانت الأحاديثُ تُصَــوِّر اليهود على أنهم أقوياء، حتى يُظهروا للناس أن القتال في سبيل الله كان ضد أناس أولي بأس، وأنهم قضوا على جميع المُعارَضة"(١).

وهكذا يُشكك فنسنك في الروايات التي تُشير إلى شدة بأس الصــحابة وقــوة اليهود، والحقيقة أنه لا مبرر له في هذا التشكك، ولم يُقَدِّمْ دليلاً على ذلك، بل يناقض ما أشار إليه من أن اليهود كانوا أصحاب ثروة!

والثابتُ حقًّا – كما يَذْكُر كتاب السير – أنَّ يهود بني قَيْنُقاع لما رأوا أن الله قد نَصَر المؤمنين نصرًا مؤزرًا في ميدان بدر، وأنهم قد صارتْ لهم عزة وشوكة وهيبة في قلوب القاصي والداني، تميَّزَتْ قِدَر غيظهم، وكاشفوا بالشر والعداوة، وجاهروا بالبغي والأذى، كما أنَّ شر طائفة من طوائفهم الثلاث هم يهود بني قَيْنُقاع، فكانوا يسكنون داخل المدينة– في حيٍّ باسمهم – وكانوا صاغةً وحدادين(٢).

ولأجل هذه الحِرَف كانتْ قد توفرتْ لكلِّ رجلٍ منهم آلات الحرب، وكــان عددُ المقاتلين فيهم سبعمائة، وكانوا أشجعَ يهود المدينة، رَوَى أبو داود وغيره عن ابن عباس أنه قال: لما أصاب رسولُ الله ﷺقريشًا يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهــود في سوق بني قَيْنُقاع. فقال: (يا معشرَ يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل مــا أصــاب قريشًا)،. قالوا: يا محمد، لا يُغرَّنَّك من نفسك أنك قتلتَ نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يَعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أنا نحن الناس، وأنك لن تلقى مثلنا(٣).

Wensink, Muhammad and the Jews, P. 28.(١)

(٢٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق؛ الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٦ ؛ابن سعد، الطبقــات الكبــرى، ج٢، ص٢٩؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أصــحاب الشــريعة،

ولعل هذه الرواية تكفي للرد على ما ذهب إليه فنسنك؛ فكُتَّابُ السيرة كتبوا عن شجاعة اليهود وإعلانهم صراحة في وجه النبيﷺأنهم شجعان، ولو لم يكونوا أقوياء لم يَدخلوا ضمن القبائل في دستور المدينة،ولم يعقدْ معهم الرسول ﷺ تحالفًا، ويلاحظ كذلك حربهم في خَيبر فلم يكونوا بالخصم الهين، ولكن نُلاحظ التناقض في رواية الكاتب فهو تارةً يُشير أن اليهود كانوا أغلبيةً، وأن ثروات اليهود هي أساس العداء بينهم وبين المسلمين، وتارة يتحدث أن المصادر ضخَّمَتْ من قوة اليهود!

ثالثاً: موقف فنسنك من معاملات اليهود المادية:

يتحدث الكاتب عن تعاملات اليهود المالية، فيَصفُهم وصفًا دقيقًا حينما قال: "واليهودُ مُولَعون بتسليف المال"، ولكنه يجافي الحقيقة عندما يدَّعي أن الرسولﷺ ينعت اليهودَ بأنهم مرابون؛ فيقول: "وحسب رأيِ محمد (ﷺ) فإنهم مرابون"[(١)]، والحقيقةُ أن فنسنك هنا يحاول الإيحاء وكأن هذا الوصف هو رأي شخصي للنبي ﷺ، وكأن الربا حرَّمه النبيﷺ بقرار منه، وليس وحيًا مِن عند الله الذي يقول: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)[(٢)] ففنسنك في ما ذهب إليه من رأي يتماشى مع آراء المستشرقين، مِن الزعم بأن القرآن مِن تأليف الرسولﷺ، وليس وحيًا من الله.

رابعاً: وصف فنسنك للشكل الظاهري لليهود:

يتحدث فنسنك عن العلاقة بين اليهود والمسلمين فيورد: "ويختلف اليهودُ عن العرب في تصفيف الشعر، وفي إهمال منازلهم"[(٣)]، وقد صدق في ذلك فإنَّ إهمال اليهود لنظافة منازلهم أمرٌ معروف؛ فقد روى الترمذيُّ أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تعالى

تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج ٣، ص ١٧٣-١٧٤.

(١) Wensink, Muhammad and the Jews, P. 31.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

(٣) Wensink, Muhammad and the Jews, P. 31.

طيِّب يحب الطيب، نظيف يُحب النظافة، كريم يحب الكرم، جَواد يُحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود"(١).

فهنا أشار الكاتبُ إلى أن المسلمين لم يَتأثروا من اليهـود في إهمـال بيـوتهم، وتصفيف شعرهم، بالرغم من أنه في موضعٍ لاحق في كتابه كان يُحـاول بطريقـة أو بأخرى إظهار تأثير اليهود على المسـلمين في جميـع الأمـور؛ حـتى في العبـادات وغيرها.وخصص الفصل الثالث من كتابه حول تأثر المسلمين باليهود في العبادات.

خامساً: موقف فنسنك من الروايات التي تبشر ببعثة الرسولﷺ:

يزعم فنسنك أن الروايات التي كانت تبشر ببعثة الرسولﷺمن قبل أهل الكتاب قبل بعثته ﷺمختلقة من قبل المسلمين دون تقديم دليل على ما ذهب إليه ، وهو نهج قد أشرنا سابقاً إلى أن الكاتب قد اتبعه كثيراً في كتابه. ولكن ما هو الدليل الذي استند عليه في هذا التشكيك فيقول: "ولذلك يمكننا أن نتصور أيضًا، إما أن يهود الحجاز كانوا يتوقعون بعث المسيح أو أن تلك الفكرة نبَعَتْ إلى أذهانهم نتيجة الظروف المحيطة، وقد ذكرت الروايات أن اليهود – خلال حكم بني قليلة – كانوا يتوقعون العونَ مِن نبيٍّ سوف يبعثه الله، وسوف يدعمهم في القضاء على أعدائهم، ومِن الواضح أنَّ مُعظم تلك الروايات كانتْ في الأساس مُحاولةً من الأجيال اللاحقة لتعظيم محمدٍ(ﷺ)"(٢).

الأمر الذي أوقعه في عدة أخطاء إذ أنه ذكر أن هذه الروايات مختلقة، وأن هذه الروايات محاولة مِن الأجيال لتعظيم محمدٍ(ﷺ)، دون أن يُقَدِّمَ دليلًا على زعمه هذا، فهو يُشَكِّك في الروايات التي لا تخدم رأيه، كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة، فهذا

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي وهو الجامع الصـحيح، تحقيـق محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (٤١) باب ما جاء في النظافة، حديث رقم (٢٧٩٩)، ج ٣، ص ٥٣٧.

(٢) **Wensink, Muhammad and the Jews, P. 39.**

تَرديدٌ لآراء بعض المستشرقين الذين يرَوْن أن أحداث السيرة النبوية كُتبتْ في فترات لاحقة، وأن فيها الكثير من التحريف والتزوير، فالنبي ﷺ ليس بحاجة لتزوير وقائع التاريخ لأجل رفع قدره، فشرف النبوة لا يدانيه شرف. وما حدث من تحوُّل في الجزيرة العربية وما تبعه من فتوحات دلالة واضحة على عظمة الرسول ﷺ وليس هناك داعي للأجيال اللاحقة لكي تزور التاريخ تعظيماً للرسولﷺ وكل دارس منصف يستطيع أن يصل إلى هذه النتيجة.

فهناك العديدُ مِن الروايات في مَصادرنا الإسلامية التي أشارت إلى ذكر اليهود من قرب ظهور نبي مبتعث كان من الأجدى للكتاب تقييمها، وعلى سبيل المثال لا الحصر رواية ابن إسحاق ومفادُها: كان لنا جارٌ مِن يهود بني عبد الأشهل، قال: فخرَج علينا يومًا مِن بيته حتى وقَف على بني عبد الأشهل، قال سلمة: فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار...، فقال لهم: نبي مبعوث مِن نحو هذه البلاد، فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا مِن أحدثهم سنًا: فقال أن يَستنفد هذا الغلام عمره يُدركه، قال سلمة: فو الله ما ذهب الليلُ والنهار حتى بعث اللهُ محمدًا رسول الله وهو حيٌّ بين أظهُرنا، فآمنا به، وكَفَرَ به بَغيًا وحسدًا[١].

وحينما يعالج فنسنك سبب كفر اليهود بالرسول ﷺيقول: "ومِن المؤكد أن محمدًا (ﷺ) – الذي كان يتوقع أن يقبلَ اليهودُ دعوتَه – ما زال يعرف القليل عنهم؛ فهم الذين قالوا لعبد الله بن سلام عندما أصبح مسلمًا: لا تكون النبوَّةُ في العرب، ولهذا السبب فقط لم يعترف اليهود بمحمد ﷺ نبيًّا؛ لأنهم يعترفون فقط بالأنبياء من سلالة هارون عليه السلام"[٢].

نعم لقد كان متوقعًا أن يقبل اليهود دعوة الرسولﷺ، لكنهم لم يفعلوا؛ لأن الرسولﷺجاء من خارج سلالة بني إسرائيل فكفروا به، رغم أن السيد المسيح عيسى

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٣٦.

[٢] Ibid

بن مريم كان مِن بني إسرائيل، ومع ذلك كفروا به كما كفروا بغيره من أنبياء الله؛ مثل: زكريا ويحيى، ولم يقِفْ دورهم عند حد الكفر فقط، بل تجاوزوه إلى قتل بعض الأنبياء، وهو ما حدث مع زكريا وابنه يحيى عليهما السلام[(١)]، إذن ثمة مشكلة لدى اليهود مع أنبياء الله ورسولهﷺ.

سادساً: موقف فنسنك من عبد الله بن أبي بن سلول:

يُظهر فنسنك تعاطُفًا مع رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول غير مبررٍ، مشيراً: "وهناك رجل واحدٌ في المدينة تجرَّأ على معارضة النبيِّ(ﷺ) صراحةً، وتصدى للدفاع عن التقاليد العربية العتيقة، وهو عبد الله بن أبي بن سلول، الذي ينتمي إلى بني الحبلاء وبالتالي هو خزرجيٌّ، وكرد فعل لسلوكه رسمتْ له الأحاديثُ صورةً بغيضةً لم تمنعنا نحن مِن أن ننظرَ إليه كشخصية بارزة بمعنى الكلمة!"[(٢)]

وفي الحقيقة أن الذي رسم الصورة البغيضةَ هو ابن سلول نفسه؛ لأن الأحاديثَ لم تنقل إلا وقائعَ صحيحةً عن سلوكه، وفي ذلك موقفُه المُخزي من خذلان المسلمين، وهم في طريقهم إلى غزوة أحد في عام ٣هـ/ ٦٢٥م ، وانسحابها بثلث الجيش في وقت حرجٍ، وقد أشار فنسنك إلى ذلك بقوله: "وعندما عُقد اجتماع تشاوري بشأن غزوة أحد، فضل ابن أبي المكوث في المدينة، وليس مستغربًا أنه شعر بالخطر عندما استمع محمدٌ(ﷺ) إلى بعض الشباب المتحمسين وقرَّر الخروج إلى القتال،فلا يوجد عذر كبير لابن أبي للانسحاب من المعركة ومعه ثلاثمائة من أتباعه فيما بعد"[(٣)].

أولم يتهم ابن سلول زُورًا السيدة عائشة رضي الله عنها زوج الرسول

---

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج ٢، ص ص ٣٦٢ – ٣٦٤.

(٢) Wensink, Muhammad and the Jews, P. 33

(٣) Ibid, P. 34.

ﷺبارتكاب الفاحشة؟ ألم يَسْعَ إلى إشعال الفتن بين الأوس والخزرج لشقِّ صفوف المسلمين؟ وتطاوله على الرسولﷺوقوله: "ليخرجن محمدٌ ذليلًا من المدينة وهو العزيز"؟[١]وغيرها من الأفعال التي أشارت لها المصادر والتي لا يتسع المجال لذكرها. ومرة أخرى نلاحظ التشكيك بالروايات والأحاديث دون إتباع النهج العلمي.

وينتقل فنسنك ليكملَ حديثَه حول ابن أبي بن سلول ودوره في علاقة الرسولﷺ مع بني النضير،فيورد كلامًا متناقضاً: "إن ما قام به عبد الله بن أبي من تصرف إبان حصار يهود بني النضير يُروى في غير صالحه،فكان من المفترض أن يحثهم على اللجوء إلى حصونهم؛ حيث يمكن أن ينضم إليهم هو وأتباعه، وفي حالة طردهم يمكن أن يلحقوا بهم، ولكن عندما جاءت الرياحُ بما لا تشتهي السفن قيل: إن عبد الله بن أبي تخلى عنهم، وأنا لا أشك في أن تلك الحادثة كانتْ سببَ نزول الآية القرآنية الآتية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[٢]، فيتضح تمامًا من هذا النص أن المنافقين كانوا قد وعدوا بمساعدة بني النضير، ولكن هذا لا يَعني أن شخصية ابن أبي قد تأثَّرَتْ بهذا الحدَث، كما أن مجرى الأحداث لا يمكن تأكيده[٣].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٨١.

(٢) سورة الحشر، آية ١١-١٢.

(٣) **Wensink, Muhammad and the Jews, P. 35**

ويكفي بذلك نُزول سورة المنافقين والتي فَضَحت المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله ابن سلول، وفي هذا يقول القرطبي في تفسيره للآية: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[1]، يقول القرطبيُّ: روى البخاري عن زيد بن أرقم، قال: كنتُ مع عمي، فسمعتُ عبدَ الله بن أبي بن سلول يقول: "لا تنفقوا على مَن عند رسول الله ﷺ حتى ينفضُّوا"، وقال:" لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺإلى عبد الله بن سلول وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هَمٌّ ما أُصبت مثله، فجلستُ في بيتي فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأرسل لي رسول الله ﷺ يقول:(إن الله قد صَدَّقك)[2].

---

(١) سورة المنافقون، آية ١.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج ٩، ص ٢٦٥.

فبالرغم من أن الكاتب أراد أن يوهم القارئ بأنه يتبع منهجًا علميًّا، وأنه سوف يكون موضوعيًّا، إلا أنه كثيرًا ما ابتعد عن هذه الموضوعية، مُتَّبِعًـا نفـس المنـاهج التقليدية التي اتبعها بعض مَن سبقه مِن المستشرقين في دراستهم للسيرة النبوية، فحاول بكل الطرق أن يشكك في المصادر الإسلامية وفي شخصية الرسول ﷺ، فـنلاحظ أن المستشرقين أتبعوا المناهج الإستشراقية في دراستهم لحياة الرسول ﷺ ومما يدل ذلـك على عقم هذه المناهج في دراستها للسيرة النبوية .

هذا الموروث الثقافى والتصور المشوه والقاصر عن الإسلام ونبي الإسلام، وهذا المنهج المنحرف فى النظر فى تاريخ الإسلام عموماً والسيرة النبوية خصوصاً قادت إلى الإنحياز الأعمى إلى الطرف الآخر، أى إلى اليهود فأصبح يهود المدينة فى نظر معظـم هؤلاء المستشرقين ضحية النبي محمد صلى الله عليه وسـلم الشخصـية، وأطماعـه السياسية، وهم لا يقدمون للقارئ فى تلك المواقف الأدلة العقلية أو النقلية ما يثبـت صحة ما يذهبون إليه، فكل حججهم مبنية على الظن والتخمين والفرضيات الخاطئـة ليس غير. ومرد ذلك كله هو إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

نتائج البحث

١- أوضحت هذه الدراسة بصورة كبيرة أخفاق الكثير من المستشرقين فى تطبيق المنهج العلمى والمعالجة الموضوعية لبعض القضايا البالغة الأهمية فى السيرة النبوية وعلى رأس تلك القضايا علاقة النبى بيهود المدينة.

٢- إعادة النظر الشاملة فى كل ما يكتبه المستشرقون فى السيرة النبوية لتقويم المعوج والإشادة بالمستقيم منها.

٣- أسهم بعض المستشرقين ببحوثهم فى تنمية ا لثقافة الإنسانية، ودفعوا إلى متابعة تلك البحوث بالزيادة أو التعقيب أو الرد، بل أن بعض المستشرقين المنصفين قد تركوا أثراً عميقاً فى الرأى العام الإسلامى والأوروبى على حد سواء.

٤- أن الحوار بين الحضارات والأديان ضرورة حتمية وواجب أخلاقى وإنسانى وشرط مؤكد للتعاون الإيجابى والتعايش السلمى بين البشر، وهو يتطلب التكافئ بين الإرادات وتوافر النوايا الحسنة، والالتزام بالأهداف التى تعزز القيم والمبادئ الإنسانية التى هى القاسم المشترك بين جميع الحضارات والأديان.

٥- أن الحوار بين الحضارات الأديان يسهم بدرجة كبيرة فى التقارب بين الشعوب والأمم وفى إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ومن الأفكار المسبقة القائمة على أسس غير صحيحة والتى تختزنها الذاكرة الشعبية لثقافة شعب من الشعوب عن ثقافة شعب أخر.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

١-القرآن الكريم

٢- ابن سعد أبو عبد الله بن سعد بن منيع الزهـــري ، الطبقـــات الكـــبرى، دار صادر، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣-ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثـــة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تعليق عمر عبـــد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٥-البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمود محمـــد محمـــود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٦-البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧-البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٨-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي وهو الجامع الصـــحيح، تحقيق محمود محمـــد نصـــار، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت – لبنـــان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٩-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي وهو الجامع الصـــحيح، تحقيق محمود محمـــد نصـــار، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت – لبنـــان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

١٠- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ط١، دار المدار الإســـلامي، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١١- السابعى، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ط٣، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢-السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٣-فوزي، فاروق عمر، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٤-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج ٩، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٥-لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتير، دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٦-المفتى، محمد مختار، إسهامات العلماء والمستشرقين فى الفكر الإسلامى، أمواج، الأردن، عمان، ٢٠١٢م.

١٧-المفتى، محمد مختار، السيرة النبوية فى كتابات المستشرق الهولندى أرنت جان فنسنك "١٩٣٩ – ١٨٨٢م، مجلة هدى الإسلام، الأردن، مج٥٦، ع٨، ٢٠١٢م.

المراجع المعربة:

١٨-كارليل، توماس، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م

١٩-هيرولد، كرستوفر، بونابرت في مصر، ترجمة فؤاد أندروس، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ثانياً: الكتب الأجنبية :

20-Wensink, A.J., Muhammad and the Jews of Medina, translated and edited by Wolfgang Behn,Berlin, 1975

المجلات الأجنبية :

21-Ryad, Umar,"The Dismissal of A.J .Wensinck from the Royal Academy of the ArabicLanguage in Cairo",inW. B. Drees&P. S. van Koningsveld (eds.),The Study of Religion and the Training of Muslim Clergy in Europe: Academic and Religious Freedom in the 21st Century, Amsterdam 2008